



مداخلات لغوية

أبواس إبراهيم الشمسان

الحمد لله



أكثر ما تسمع من العامة قولهم (الحمد لله) بكسر الدال، وليس هذا من ابتداء العامية بل هو استعمال قديم قرئ به القرآن، ونسبت القراءة إلى أهل البدو، وبني تميم، وبعض غطفان. وذلك السعي المبكر الذي اتصل إلى يومنا هذا هو سعي للخفة، وهو ما أدركه بذكاء الفراء (معاني القرآن، ص ٣) وعبر عنه تعبيراً

موفقاً، قال: (وأما من خفض الدال من (الحمد) فإنه قال: هذه كلمة كثرت على ألسن العرب حتى صارت كالاسم الواحد؛ فنقل عليهم أن يجتمع في اسم واحد من كلامهم صمّة بعدها كسرة، أو كسرة بعدها صمّة، ووجدوا الكسرتين قد تجتمعان في الاسم الواحد مثل إبل؛ فكسروا الدال ليكون على المثال من أسمائهم). وما ذكره الفراء يعني أن الضمة التي هي علامة الرفع ماثلت كسرة اللام في (لله) فصارت كسرة مثلها تجنباً للثقل الذي يهبه تتابع ضمة وكسرة، وإتباعاً لمثل تتابع فيها الحركتان المتثلان. وهذا التغيير هو ما عرف بالإتباع، قال ابن الشجري (أماليه، ٢: ٣٦٨): (ألا ترى أنهم قد أتبعوا حركة الإعراب حركة البناء في قراءة من قرأ (الحمد لله) [الفاتحة: ١] بكسر الدال، وكذلك أتبعوا حركة البناء حركة الإعراب في قراءة من قرأ (الحمد لله) بضم اللام، وكذا أتبعوا حركة البناء حركة الإعراب في نحو: يا زيد بن عمرو، في قول من فتح الدال من زيد).

وكان يمكن الاكتفاء بما ذكره الفراء من التفسير الصوتي الصحيح؛ غير أن النحويين ذهبوا غير مذهب في النظر إلى هذه الكسرة، فذهب الأخفش (معاني القرآن، ١: ٩-١٠) إلى أنها حركة بناء كما يبنى المنادى المفرد على الضم، قال: (وقال بعض العرب: الحمد لله، فكسره؛ وذلك أنه جعله بمنزلة الأسماء التي ليست بمتحركة، تحرك وأخرها حركة واحدة لا تزول عنها، حيث... فشبها الحمد وهو اسم متمكن في هذه اللغة بهذه الأسماء التي ليست بمتحركة؛ كما قالوا: يا زيد).

وأما جمهرة النحويين المتأخرين فيذهبون إلى تقدير الإعراب على الدال (ابن الناظم، شرح الألفية، ص ٤١٣): لأنهم يرون هذه الحركة (الكسرة) غير مجتلية بعامل فليست بحركة إعراب (الفاكهة: شرح الفواكه، ص ٧)، قال أبو حيان (البحر المحيط، ١: ١٣١): (ويكون الإعراب إذ ذاك، على التقديرين، مقدراً منع من ظهوره شغل الكلمة بحركة الإعراب). وقال السيوطي (الهمع، ١: ٦٩-٧٠): (الخامسة: المتبع، نحو (الحمد لله) بكسر الدال، قيل إنه واسطة. والصحيح أنه معرب تقديرًا، بمعنى أنه قابل للإعراب، وقيل إنه مبني، وبه جزم ابن الصائغ).

الذي نراه أدنى إلى الصواب أن الكسرة ليست للبناء ولا هي واسطة، بل هي علامة الإعراب الظاهرة ولكنها غيرت من الضم إلى الكسر للمماثلة أو للتجانس حسب تعبير السمين (الدر المصون، ١: ٤١). وهذا التغيير الصوتي نجده في حركة الضمير تقول (له) بالضم ولكن تكسر في (به). وإنه من التكلف الذي لا حاجة إليه تقدير حركة إعراب بسبب تغير صوتها ليس إلا.

♦ الرياض

لإبداء الرأي حول هذا المقال، أرسل رسالة قصيرة SMS تبدأ برقم الكاتب «٧٩٨٧» ثم أرسلها إلى الكود ٨٢٢٤٤

من الأدب الذاتي الساخر

في بيتنا (فأر) مقطوع من شجرة!

علي محمد العمير



أكرمني بعض الأصدقاء بزيارة لي - منذ ليال قليلة مضت - فتسامرنا، وتجادبنا أطراف الحديث ما شئنا، وكان يمكن أن تنتهي إلى أي موضوع كان تبعاً لتوارد موضوعات الحديث.. وذلك هو الطبيعي في مثل حالتنا هذه!!

ولكن من الغريب.. بل من الطريف حقاً أن تصل بنا تجاذبات الحديث إلى روايات شتى عن (الفئران) وأفاعيلها.. فأتاح لي ذلك أن أكون المتحدث الوحيد بينما الأصدقاء في حالة صمت مطبق، وكان على رؤوسهم الطير.. كما يقال.

وما ذلك إلا لوفرة، أو كثرة ما عندي من طرائف، وحكايات، وروايات عن (الفئران) كنت أنا شخصياً بطل تلك الروايات، والحكايات، والطرائف.. ومن ثم كان (السرد) حياً، وبدون (عنونة) من نوع (عن أبيه عن جده) فشرعت من ثم في سرد أول حكاية - حدثت لي - مع (الفئران)!! وكان ذلك في أواخر الثمانينيات، أوائل تسعينيات القرن الماضي (لا أذكر بالتحديد) وكانت هناك مناسبة رسمية مهمة في (الرياض) توافد من أجلها مجموعة كبيرة من الصحفيين!!

كان لي من بينهم بعض أصدقاء في مقدمتهم الصديق الأستاذ (عبدالله الشيتي) رحمه الله.. ثم بعض لبنانيين وجدتهم عند الصديق (الشيتي) عندما قمت بزيارته في الفندق.. فأراد توريطي - كما هي عادته معي - فعزم نفسه، ومن معه على السهرة، والعشاء في منزلي.. فكان له بالطبع ما أراد!!

وعندما سجي الليل، وحبكت السهرة فوجئنا على حين غرة بصرخة مزللة كان مصدرها أحد اخواننا اللبنانيين، وقد قفز واقفاً، وهو يردد: (الفأر.. الفأر)!! وكان أمامه (فأر) ضخمة يتهدى في غرفة الجلوس!!

وأما أنا فقد ذبت خجلاً، وقد زاد من ذلك ما كنت على يقين منه من حيث لم يسبق لي قط أن رأيت (فأراً) في منزلي ذاك، ولا سمعت قط من أي واحد، أو واحدة من عائلتي عن وجود فأر لدينا، ولا على حد ما يقوله أستاذنا إحسان عبدالقدوس (في بيتنا فأر)!! فمن أين جاء هذا الفأر اللعين؟!!

لست أدري، وكل ما فعلته هو أن طلبت من ضيوفي أن يمسخوها في شنبلي.. وأن تستمر السهرة على أفضل مما كانت.. وهكذا كان!!

■ ■ ■

وفي حوالي عام ١٣٩٢ هـ نُقلت إلى (جدة) فاستأجرت شقة فخمة في عمارة جديدة تماماً.. ولكن حدث لي مع (الفئران) ما لم يكن في الحسبان، وهو ما كتبت عنه في الصفحة الأخيرة من مجلة (البلاد) الأسبوعية بتاريخ ٢١-٩-١٣٩٢ هـ ولطرفة ذلك المقال.. لا أرى بأساً في إعادته بنصه فيما يلي:

الفئران.. وأنا؟!!

(لم أقدم الفئران على شخصي الكريم في هذا العنوان اعتباطاً أو مصادفة أو حتى تواضعاً.. وإنما اقتضاني ذلك الوفاء لطول

وأما الثالثة، وهي الأحدث، والأثر زمنيًا حيث كانت منذ شهر فحسب حيث اكتشفت عاملة المنزل وجود فأر ضخم للغاية.. يعيش في جناحي الخاص بالذات، وليس في المنزل، ولا في ملاحقه، ولا في مستودع الكتب.. أي فأر قط!!

كان واحداً يتيمًا مقطوعاً من شجرة.. وقد أراد بسبق إصرار، وتصميم مشاركتي مشاركة كاملة حيث أنام، أو أستريح، أو ما إلى ذلك من حيث قام بعمليات إرهابية تخريبية متعددة، متنوعة أذناها قرضه، وقطعه أكثر من مرة، ومرة لأي سلك كان!!

وكنا نعجب لذلك قبل اكتشاف أمره!! وقد طمأننتني عاملة المنزل وهوننت علي المسألة مؤكدة أنها ستقضي عليه، أو تطرده - على الأقل - من عندي!!

ولكن رغم كل ما بذلته من محاولات، ورغم اضطراري لمشاركتها شخصياً لن نحقق - هي وأنا - أدنى إنجاز على الأرض!!

وقد تأخرت عن طلب شركة متخصصة للقضاء عليه بسبب كرهه الشديد، وحساسيتي الأشد تجاه رائحة المبيدات!! إلا أنني اضطررت في النهاية إلى الاتصال بإحدى شركات القضاء على الحشرات والزواحف ونحو ذلك!!

وبالفعل جاء ثلاث أشخاص أحدهم (مهندس) كما قالوا، ومعهم مولد كهرباء، وأجهزة خاصة للرش.. إضافة إلى كمية كبيرة من (المبيد) الذي بشروني قبل كل شيء بأن لا رائحة له!!

ورغم إخباري لهم بعدم وجود أي مشكلة في منزلنا من نوع اختصاصهم فيما عدا ذلك (الفأر) الضخم العنيد إلا أنهم قاموا برش جميع غرف المنزل، والمستودع من باب الاحتياط حسب ما قالوا!!

وأما ذلك (الفأر) لقد أكدوا لي أن القضاء المبرم عليه سيكون في أقل عدد من الدقائق!!

وهكذا فعلوا كل شيء، ولهفوا مني مبلغاً من المال بحجة غلاء (المبيد) الخالي من الرائحة.. فدفعت مع اعتقادي الجازم بكوني الرابع الأول في تلك الصفقة حيث كانت (غلاسة) ذلك (الفأر) مزعجة للغاية!!

وكانت علامة وجوده في غرفة نومي هي مجرد إطفاء النور لتنشق عنه الأرض، وأسمع حركته، وبعثه في سائر أركان الغرفة.. غرفت بالذات، وليس غيرها!!

وهكذا قلت ببني وبين نفسي - بعد ذهاب أولئك العمّال - إذن الليلة لن تنشق الأرض عن شريكى اللعين.. ولكن ما إن جاء وقت النوم، وقمت بإطفاء النور حتى سمعت حركته فقامت بسرعة بإشعال النور، وإذا هو أمامي يقفز هنا وهناك حتى انتهى، أو استقر في الحمام!!

ولا تسألوني عن الجهود الضخمة التي بذلت بعد ذلك من أجل القضاء عليه وحده حتى انتهت أخيراً من كل ذلك.. إلا أنني مازلت أشعر، أو يخيل لي أنه مازال معي في غرفة نومي، وكأنني أسمع، وكأنني أراه!!

♦ جدة